ثلاث خصال فقد اكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ
على حدود الله تعالى وقال واعظ لبعض اخوانه ان الدنيا دحض مزلة ودار
مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف
وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع
الى الله وارض برزق الله ولا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك
في زايل وجدار مايل اكثر من عملك واقصر من املك وقال الانبساط الى الناس
مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مجلبة للعداوة فكن بين المنقبض
والمنبسط وما اكرمت احدا فوق قدره الا انتضع من قدرك عنده بمقدار
ما زدت في كرامه وقال لا وفاء للعبد ولا شكر للئيم ولا صنيعة عند نذل ومحنة
من لا يخاف العار عار يوم القيمة عاشر كرام الناس تكن كريما ولا تعاشر اللئام فتنسب
الى اللوم ان خلقك حرا فكن كما خلقك من سمع باذنه كان حاكيا ومن اصغى
بقلبه كان واعيا ومن وعظ بفعله كان هاديا وقال من الذل اشيا
حضور مجلس العلم بلا نسخة وعبور الجسر بلا قطعة ودخول الحمام بلا سطل
وتذلل الشريف للدني لينال منه شيا وتذلل الرجل للمراة لينال منها شيا ومداراة
الاحمق فان مداراته غاية لا تدرك ومن دل على النقص ولم ينتقص فهو لص
ولا بس على الفقيه ان يكون معه كتب يسافر بها وقال من تعلم القران
عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت
حجته ومن تعلم الحساب جزل رايه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه
لم ينفعه علمه ولو تتبعنا حكم جواهر كلمه المشهورة ولآلي فوايده المنظومة
والمنثورة

والمنثورة لأفضى الى الاطالة واوجب لكثرة ذلك الكاتب والسامع السآمة والملالة
ولو لم يكن من مناقبه غير هذه الالفاظ الفايقة والعبارات الرايقة لكفاه ذلك شرفا
كيف وقد جمع مع ذلك بين العلم والعمل والزهد والورع والصبر والشكر والجود والكرم
والتواضع والاخلاص والصفا والتوكل والرضى الى غير ذلك من الاخلاق الحميدة
والافعال السديدة والاقوال الصادقة المفيدة قدم صنعا الى مكة ومعه عشرة
الاف دينارا فضرب خباه خارج مكة فما برح حتى فرقها كلها كان كما قال عمرو
ابن سواد اسخى الناس بالدينار والدرهم والطعام قدم مصر وكانت زبيدة ترسل
اليه بوزر من الثياب والوشي فيقسمها بين الناس ركب حمارا فمر بسوق
الحذائين فسقط سوطه فمسحه انسان وناوله اياه فامر له بتسعة او
سبعة دنانير ونقل في الاحيا انه خرج من الحمام يوما فاعطى الحمامي مالا كثيرا
وانه اعطى لمن دفع اليه سوطه حين سقط ما بيده خمسين دينارا جزاء على ذلك
انقطع شسع نعله في سيره فاصلحه له رجل فامر له بسبعة دنانير
كان يشتري الجارية التي تطبخ وتعمل الحلوا ويقول اشتهوا ما احببتم فكان
بعض اصحابه الذي يامرها اذلالا على كرمه وجوده اذا سيل تحمر وجهه حياء
من السايل ويبادر باعطايه وكان يختم القران في رمضان ستين مرة كل ذلك
في الصلوة ويجزي الليل في غيره ثلاثة اجزا ثلث للعلم وثلث للصلوة وثلث
للنوم قال الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل
فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فماية لا يمر باية رحمة الا سال الله سبحانه
وتعالى لنفسه ولجميع المومنين ولا باية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة له وللمومنين
قال ما شبعت منذ ست عشرة سنة وفي رواية الا مرة واحدة فطرحتها لان
الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن
العبادة وما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وقال ما تركت غسل الجمعة في
برد ولا سفر ولا غيره وسيل عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب فقال لا ادري

Copyright © King Saud University